هَل كَانَ ابنُ تَيمِيَّةَ يَنطَوي عَلَى فِكرِ الخُرُوجِ عَلَى السُّلطَانِ؟

وفي آخرِهِ :

[الرَّدُّ المُحكَمُ عَلَى فِكرِ أَبي الأَعلَى المَودُوديِّ "الثَّوريِّ" مِن كَلامِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ]

كَتَبَهُ
الفَقِيرُ إِلَى سِترِ رَبِّهِ الخَفِيِّ
أَبُو العَبَّاسِ الشِّحري

الـحَمدُ لله وَحدَهُ، والصَّلَاةُ، والسَّلامُ الأَتَـمَّـانِ الأَكمَـلَانِ عَـلَى نَبيِّـهِ، وعَبدِهِ، سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ، وصَحبِهِ، ومَن سَارَ عَلَى دَربِهِ، واقتَفَى سُـنَّتَهُ، وكَانَ في حِزبِهِ .

أَمَّـا بَـعـدُ :

فَدُونَكَ جُزءًا نَافعًا في قَضيَّةٍ مِن أَعظَمِ القَـضَـايَا الـهَـائـجَـةِ في الأَزمَانِ الـمُـعَـاصـرَةِ، استَلَلتُهُ مِن كتَابي «الـعُـدَّةُ في تَـحقِـيـقِ مَـا وُصِفَ بـهِ ابـنُ تَيمِيَّةَ عِـنـدَ الـمُـنَـاظَـرَةِ مِـن الـحِـدَّةِ» - وهُـوَ قَيـدُ الصُّـدُور إن شَـاءَ اللهُ تَعَالى- .

دَعَـاني إلى إِفـرَادِهِ أَمـرَانِ :

الأَمـرُ الأَوَّلُ :

مَا يَتَطَاوَلُ بهِ أَقزَامُ العَالَـمَـانيِّينَ، واللِّيبرَالِيِّـينَ، وغَـيرُهُم مِـن أَبـوَاقِ الفِتَنِ، ونَاعِقِي الـهَـيـشَـاتِ في زَمَانِنَا مِن أَنَّ ابنَ تَيمِيَّةَ هُوَ سَبَبُ ظُهُور هَـذهِ الجَمَـاعَـاتِ الغَاليَة المُنحَرفَةِ !، بَل هُوَ أَبُوهَا الرُّوحِيُّ !، والـمُـنَـظِّـرُ لَـهَـا !، وشَيخُهَا !!، ومَا هِيَ إلَّا امتِدَادٌ لفِكر ابنِ تَيمِيَّةَ - هَكَذَا يَقُولُونَ- !! .

وشَيخُ الإسلَام بَريءٌ مِن غُلُوِّ هَذهِ الفِرَقِ، والجَمَـاعَاتِ المُنحَرفَـةِ عَـن جَادَّةِ أَهل السُّـنَّةِ والجَمَـاعَـةِ في هَـذهِ الأَبـوَاب، وغَيرهَـا؛ بَـل عَـن طَريقَـة

المُسلِمِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا بكتَاب رَبِّهم، وسُـنَّةِ نَبـيِّهم، ومَـا كَـانَ عَلَيـهِ "الأَمـرُ الأَوَّلُ".

❑ ❑ ❑

الأَمـرُ الثَّاني :

مَا يَتَشَبَّعُ بهِ هَؤُلاءِ الغُلَاةُ المُنحَرفُونَ عَن جَادَّة أَهل السُّنَّةِ، ونَهج سَـلَفِ الأُمَّةِ مِن كَلمَـاتٍ لشَـيخِ الإسـلَامِ يَكسُـونَ بهَـا بَـاطلَهُم، ويُشَـرِّعُونَ بهَـا مَنَاهِجَهُم، ويُلَبِّسُونَ بهَا علَى الغِـرِّ الـجَـاهِـلِ؛ وهِيَ عَلَيهم لا لَـهُم ! .

فَكَانَت مِحنَةً يَـهـلِـكَ فِيهَا خَـلـقٌ مِن النَّاسِ بَينَ هَاتَينِ (الضَّرَّتَينِ)[1] .

❑ ❑ ❑

فكَانَ مِن أَعظَـم الأَعمَـالِ النَّـافـعَـةِ :

إبرَازُ مَوقِفِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ مِن وُلَاةِ الأَمـرِ فِي زَمَانِهِ، ومُعَامَلَتِهِ لَـهُم، ومَوقفهِ مِن دَولَةِ الـمَـمَـالِـيكِ (الـمُـسلِمَةِ) .

وهُوَ نَمُوذَجٌ عَمَليٌّ قَاطِعٌ للنِّزَاعِ فِي بَيَان مَنهَج شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّـةَ، وفِكرِهِ، وعَقيدَتِهِ فِي هَذَا البَاب العَظِيم .

وأَنَّهُ سَائرٌ علَى مِنهَـاج أَهـل السُّـنَّةِ، والـجَـمَـاعَــة، وسَـبيل السَّـلَفِ الصَّالحِ فِي هَذهِ القَضَايَا العَظِيمَةِ الجَليلَةِ .

---

(١) (الضَّرَّتَانِ): حَجَرَا الرَّحَى، كَـمَـا فِي «مُجمَلِ اللُّغَة» لابن فَارسٍ (ص٥٦٢)، وانظُر: «الـمُـزهِـرَ» للسُّيُوطيِّ (٢/ ١٦٦) .

كَيفَ وأَنتَ رَاءٍ - إِن شَاءَ اللهُ تَعَالى- طَعنَ (شَيخِ القَومِ)[1] في شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ، ومَوقِفِهِ مِن حُكَّامِ زَمَانِهِ ! .

وأَنَّ ابنَ تَيميَّةَ - عِندَهُ- لَم يُوَفَّق في هَذَا البَاب ! بَابِ المَوقِفِ مِن حُكَّامِ زَمَانِهِ !، ودَولَتِهِم، وإِن وُفِّقَ في تَجدِيدِ غَيرِهِ مِن الأَبوَابِ ؟!! .

❑ ❑ ❑

وأَنتَ - أَيضًا- رَاءٍ - إِن شَاءَ اللهُ تَعَالى- الرَّدَّ المُحكَمَ عَلَيهِ مِن كَلَامِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ في تَقريرَاتٍ نَافعَةٍ، وتَأصِيلَاتٍ عَظِيمَةٍ مَاتعَةٍ، لا يَقرَؤُهَا مُنصفٌ إِلَّا أَذعَنَ لَهَا، وأَكبَرَ عِلمَ ابنِ تَيمِيَّةَ، وعَقلَهُ ! .

❑ ❑ ❑

واللهُ هُوَ وَلِيُّ الهِدَايَةِ، والتَّوفِيقِ، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ، وصَحبِهِ، وسَلَّمَ .

عَصرَ الأَحَدِ الـ٢٥ مِن شَهر الله المُحَرَّمِ عَامَ ١٤٤٧

❑ ❑ ❑

---

(١) وهُوَ الأَستَاذُ أَبو الأَعلَى المَودوديُّ (ت١٣٩٩)؛ إذ هُوَ (**المُنَظِّرُ الأَوَّلُ**) لأَفكَارِ فِرَقِ الغُلُوِّ المُعَاصِرِ، و(سَيِّد قُطب) نَاقلٌ لأَفكَارِهِ - عَفَا اللهُ عَن الجَمِيعِ- .

[البِدَايَةُ]

قَالَ تِلمِيذُهُ العَلَّامَةُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفصٍ عُمَرُ بنُ عَلِيٍّ البَزَّارُ (ت٧٤٩)

- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - :

«وأَخبَرَني مَن لَا أَتَّهِمُهُ أَنَّ الشَّيخَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - حِينَ وُشِيَ بِهِ إلى السُّلطَانِ المُعَظَّم المَلِكِ النَّاصِر مُحَمَّدٍ[1] أَحضَرَهُ بَينَ يَدَيهِ، قَالَ: فَكَانَ مِن جُملَةِ كَلَامِهِ: **"إِنَّني أُخبِرتُ أَنَّكَ قَد أَطَاعَكَ النَّاسُ، وأَنَّ في نَفسكَ أَخذَ المُلكِ !"**؛ فَلَم يَكتَرِث بِهِ، بَل قَالَ لَهُ بِنَفسٍ مُطمَئِنَّةٍ، وقَلبٍ ثَابِتٍ، **وصَوتٍ عَالٍ**، سَمِعَهُ كَثِيرٌ مِمَّن حَضَرَ :

"أَنَا أَفعَلُ ذَلِكَ !! واللهِ إِنَّ مُلكَكَ، ومُلكَ المُغلِ لَا يُسَاوِي عِندِي فِلسَينِ!!" .

---

(١) هُوَ: سُلطَانُ المَماليكِ الأَعظَم الملكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ ابنُ السُّلطَانِ قَلَاوونَ بنِ عَبدِ الله الصَّالِحِيُّ (ت٧٤١)، قَالَ الصَّفَدِيُّ: «**كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا، دَانَت لَهُ العِبَادُ، ومُلُوكُ الأَطرَافِ بِالطَّاعَة**»، وقَالَ ابنُ حَجر: «**وكَانَ مُطَاعًا، مَهِيباً، عَارِفًا بِالأُمُور، يُعَظِّم أهلَ العِلم، والمَناصب الشَّرعِيَّة، لا يُقرِّرُ فِيهَا إِلَّا مَن يَكُونُ أَهلًا لَهَا، ويتَحَرَّى لِذَلكَ، ويَبحَثُ عَنهُ، ويبَالِغُ، وأَسقطَ مِن مَملَكَتِهِ "مَكسَ الأَقوَاتِ"**» انتَهَى .

انظُر: «الوَافي بالوفَيَات» (٤/ ٢٥١)، و«البدَايَةَ والنِّهَايَة» (١٤/ ٢٢٢)، و«الدُّرَرَ الكَامنَة» (٥/ رقَم١٧٣١) .

فَتَبَسَّمَ السُّلطَانُ لذَلكَ، وأَجَابَهُ في مُقَابلَتِهِ بِمَا أَوقَعَ اللهُ لَهُ في قَلبِهِ مِن الهَيبَةِ العَظِيمَةِ: **"إِنَّكَ واللهِ لَصَادِقٌ !، وإِنَّ الَّذِي وَشَى بكَ إِلَيَّ كَاذِبٌ"** .

واستَقَرَّ لَهُ في قَلبِهِ مِن **"المَحَبَّةِ الدِّينِيَّة"** مَا لَولَاهُ لَكَانَ قَد فتَكَ بِهِ مُنذُ دَهرٍ طَوِيل مِن كَثرَةِ مَا يُلقَى إِلَيهِ في حَقِّهِ مِن الأَقَاوِيلِ الزُّورِ، والبُهتَانِ مِمَّن ظَاهِرُ حَالِهِ للطَّغَامِ العَدَالَةُ، وبَاطنُهُ مَشحُونٌ بِالفِسقِ، والجَهَالَةِ» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

قُلتُ:

مَعلُومٌ أَنَّ الغَضَبَ في دَفعِ الإِنسَانِ الزُّورَ، والبُهتَانَ عَنهُ مَحمُودٌ، وهُوَ مِمَّا يَدُلُّ علَى صِدقِ المتكَلِّم؛ لأَنَّهُ يَأتي عَفوِيًّا لِهَولِ مَا يَسمَعُ !، وصَاحِبُ سَرِيرَةِ السُّوءِ في مِثلِ هذَا المَوقِفِ يتَلَجلَجُ .

ولِهَذَا حَمِدَ السُّلطَانُ مِنهُ هَذَا الغَضَبَ، وزَادَ بِهِ عِندَهُ مَحَبَّةً، وقُربًا، وثِقَةً، وصَرَّحَ لَهُ أَنَّهُ صَادِقٌ؛ وحَلَفَ عَلَى ذَلكَ؛ فَقَالَ: "إِنَّكَ واللهِ لَصَادِقٌ !، وإِنَّ الَّذِي وَشَى بكَ إِلَيَّ كَاذِبٌ"؛ فتَدَبَّر .

❑ ❑ ❑

وكَانَ مَن أَشَاعَ هَذِهِ التُّهمَةَ، وأَوقَدَ نَارَهَا، ونَفَخَ فيهَا، وأَعلَا أُوَارَهَا؛ هُم :

حَاسِدُوهُ مِن غُلاةِ الصُّوفِيَّةِ، وغُلاةِ الأَشعَرِيَّةِ، وقَد أَبَانَ ذَلكَ بجَلاءٍ :

العَلَّامَةُ المُؤَرِّخُ أَحمَدُ بنُ يَحيَى بنِ فَضل اللهِ العُمَريُّ الدِّمَشقِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت٧٤٩)، ونَقَلَهُ عَنهُ **العَلَّامَةُ المُؤَرِّخُ تَقِيُّ الدِّينِ المِقرِيزِيُّ** (ت٨٤٥) في

---

(١) انظُر: «الأَعلَامَ العَليَّة في منَاقب ابن تَيميَّة» (ص٧١-٧٣) .

"تَارِيخِهِ الكَبِير" - رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى-؛ فَقَالَ - بَعدَ ذِكرِهِ مُنَاصَحَةَ ابنِ تَيمِيَّةَ للمَنبَجِيِّ، ومُكَاتَبَتَهُ لَهُ في شَأنِ الغُلُوِّ في ابنِ عَرَبِيٍّ- :

«فَقَامَ نَصرٌ المَنبجيُّ بالقَاهرَة، وقَالَ لقَاضي القُضَاةِ زَينِ الدِّين ابنِ مَخلُوفٍ المَالكيِّ: "**قُل للأُمَرَاءِ بِأَنَّ ابنَ تَيمِيَّة يُخشَى عَلَى الدَّولَةِ مِنهُ !، كَمَا جَرَى لابنِ تُومَرت في بِلادِ المَغرِبِ !!**" !! .

فَحَدَّثَهم؛ حَتَّى تَخيَّلُوا مِنهُ ! .

ثُمَّ أَرسَلُوا كِتَابًا إلى دِمَشقَ بإِحضَارِهِ؛ فَمَانَعَ الأَفرَمُ نَائبُ دِمَشقَ .

وقَالَ: «**قَد عُقِدَ لَهُ مَجلسَانِ بحَضرَتي، وحَضرَةِ الفُقَهَاءِ، ومَا ظَهَرَ عَليهِ شَيءٌ !**» .

فَقَالَ الرَّسُولُ: «**أَنا لكَ نَاصحٌ !، وقَد قَالَ عَنهُ الشَّيخُ نَصرٌ المَنبجيُّ: «إِنَّهُ يجمَعُ النَّاسَ عَلَيكَ، ويَعقدُ البَيعَةَ لغَيرِ السُّلطَانِ !**» .

فَخَافَ النَائبُ، وبَكَى مِنهُ» انتَهَى بتَصَرُّفٍ يَسيرٍ[1] .

(١) مِن «مَسَالكِ الأَبصَار في ممَالك الأَمصَار» (٥/ ٧٠٠-٧٠١)، و«المُقَفَّى الكَبير» (١/ ٤٦١-٤٦٢)، وانظُر: «العُقُودَ الدُّرِيَّةَ» (ص٢٢٥-٢٢٦) .

وإِذَا فَهِمتَ هَذَا :

فقَضِيَّةُ اتِّهَام ابنِ تَيمِيَّةَ بالسَّعي لنَيـل السُّـلطَةِ، والمُلـكِ كَانَـت سَـبَبًا في المُبَالَغَةِ في ظُلم ابنِ تَيميَّةَ، ومُعَامَلتِه بمَـا لا يَستَحِقُّ، واستطَالَةِ حَاسِدِيهِ عَلَيهِ .

وكَانَ الَّذي أَشَاعَهَا مِـن حَاسِـدِيهِ، وحَاقديـهِ مَقصُـودُهُ ثَلاثَـةُ أُمُـورٍ، ومَقَاصدَ :

المَقصَدُ الأَوَّلُ:

إِخَافَةُ كُلِّ مَن يَقُومُ مَعَ ابنِ تَيميَّةَ، أَو يَقِفُ مَعَهُ، أَو يَـرُدُّ حُكـمَ القُضَـاةِ فِيهِ، أَو ينَازعُهُم في مَا يَصنَعُونَهُ بِهِ مِن العُقُوبَاتِ :

بأَنَّهُ سَيُلحَقُ بابن تَيميَّةَ في تُهمَةِ "طَلَبِ المُلكِ" !؛ وهَـذِهِ التُّهمَـةُ عِقَابهَـا المَوتُ العَاجِلُ ! .

❑ ❑ ❑

والمَقصَدُ الثَّاني:

استِمَـالَةُ السُّلطَانِ، ورجَالِ الدَّولَةِ ضِدَّ ابنِ تَيميَّةَ !، وإِلبَاسُ مَن يُخَاصِمُ ابنَ تَيميَّةَ ثَوبَ المُدَافَعَةِ عَـن السُّـلطَانِ، والمُحَافَظَـةِ عَـلَى الدَّولَـةِ مِـن غَائلَـةِ الخَائنِينَ، وعَلى رَأسِهم: ابنُ تَيميَّةَ، الَّذي لَهُ تَوَاصُلٌ بالأَعدَاءِ التَّتَار، لإِسـقَاطِ الدَّولَةِ، وقَتلِ السُّلطَانِ، ورِجَالِ الدَّولَةِ؛ لأَجل مَا وَعَدُوهُ بِهِ، وأَصـحَابَهُ مِـن "المُلكِ" !! .

فكَانَ هذَا الإِرجَافُ سَبَبًا؛ لقِلَّةِ نَاصِري ابن تَيميَّةَ مِن الوُلاةِ، والأُمَرَاءِ، وغَيرِهِم، وخَوفِ كَثيرٍ مِنهُم مِن نُصرَتِهِ .

وكَانَ سَببًا - أَيضًا- في ضَعفِ غَيرِ وَاحِدٍ مِن القُضَاةِ عَـن رَدِّ الأَحكَـامِ الظَّالِـمَـةِ الصَّادرَةِ مِن ابنِ مَخلُوفٍ، وزُمرَتِهِ في حَقِّ ابنِ تَيميَّةَ .

المَقصَدُ الثَّالثُ:

السَّعيُ في سَفكِ دَمِ ابنِ تَيميَّةَ بأَيِّ عُذرٍ؛ طَالَـمَـا وتُهمَةُ "سَعيهِ للمُلكِ"، وإِسقَاطِ الدَّولَةِ، تَدُورُ كالمَبخَرَةِ في مَجَالِسِ السُّلطَانِ، ونُوَّابِهِ، ورِجَالِ الدَّولَةِ!.

❑ ❑ ❑

قَالَ شَيخُ الإِسلامِ - رَحِـمَـهُ اللهُ تَعَـالى- شَـارحًا هـذَا في كَلامِـهِ مَـعَ القَاضي شَمس الدِّينِ السَّرُوجيِّ، وقَـد نَزَّهَـهُ عَـن الـدُّخُولِ في أَحكَـام ابـن مَخلُوفٍ الجَائرَةِ، ثُمَّ قَالَ :

«وقُلتُ لَهُ: **أَنتُم مَا كَانَ مَقصُـودُكُم الحُكـمَ الشَّـرعِـيَّ؛ وإِنَّمَـا كَـانَ مَقصُودُكُم دَفعَ مَا سَمِعتُمُوهُ مِن "تُهمَةِ المُلكِ" ! .**

ولَـمَّـا عَلِمَت الحُكَّـامُ أَنَّ في القَضِيَّةِ "أَمرَ المُلكِ" أَحجَمُـوا !، وخَـافُوا مِن الكَلَامِ !؛ خَوفًا يَعذُرُهُم اللهُ فِيهِ، أَو لا يَعذُرُهُم ![1] .

---

(١) اللهُ أَكبَرُ؛ وهَذِهِ العِبَارَةُ مِن شَيخِ الإِسلامِ مَفَادُهَا أَنَّ عَددًا مِن القُضَاةِ خَافُوا مِن قَولِ **"كَلِمَةِ الحَقِّ في مُسلمٍ يُسعَى إلى دَمِهِ"**؛ لـخَـوفِهِم عَـلَى أَنفُسـهِم؛ لا سِيَّمَـا وقَد رَأَوا مَا جَرَى لقَاضي القُضَاة الحَنَفيَّةِ بدِمَشقَ شَمسِ الدِّين مُحَمَّـدِ ابـنِ الحَريـريِّ الحَنَفيِّ (ت٧٢٨)؛ لَـمَّـا أَنصَفَ ابنَ تَيميَّةَ فيمَـا يُدَّعَى عَلَيهِ، وكَتَبَ مَحضرًا أَثبتَ فِيهِ مَا هُوَ عَلَيهِ مِن الخَيرِ، وكَتَبَ في أَعلَاهُ بخَطِّهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَطرًا يَقُولُ في جُملتِهَـا: «إِنَّـهُ مُنذُ ثَلَاثِ مِئةِ سَنَةٍ مَا رَأَى النَّاسُ مِثلَهُ»!، قَالَ المُؤرِّخُ شِهَابُ الدِّينِ النُّوَيريُّ (٧٣٣): «وأَرَاني قَاضي القُضَاة زَينُ الدِّين المَالكيُّ هذَا المَحضَـرَ، وغَضِـبَ مِنـهُ !، وسَـعَى في عَزلِ قَاضـي القُضَاةِ الحَنَفيَّة بدِمَشقَ شَمسُ الدِّين ابنُ الحَريريِّ؛ فعُزِلَ !!» انتَهى مِن «نهَايَةِ الأَرَب في فُنُون الأَدَب» (٣٢/ ١١٧) .

فَخَوفُ هَؤُلاءِ القُضَاةِ كَانَ لشَيءٍ يَعلَمُونَهُ مِن عُقُوبَةِ كُـلِّ مَـن يُـدَافعُ عَـن ابـنِ تَيميَّةَ، وابنُ الحَريريِّ، وغَيرُهُ مِثَالٌ ظَاهرٌ للعِيَانِ؛ فَهَل كَانَ خَوفُهُم مِـمَّـا يُعذَرُونَ بِهِ=

لَكِن لَولَا هَذَا لتكَلَّمُوا بِأَشيَاءَ، ولَو كَانَ هَذَا الحُكمُ شَاذًّا، أَو فِيهِ غَرَضٌ لِذِي سَيفٍ؛ لَكَانَ عَجَائِبَ .

فَقَالُوا: يَا مَولَانَا مَن يَتكَلَّمُ في "أَمرِ المُلكِ"، نَحنُ مَا نَتكَلَّمُ، دَعنَا مِن الكَلَامِ في المَلِكِ ! .

فَقُلتُ: أَيُّهَا النَّائِمُ أُخَلِّيكُم مِن المُلكِ ؟!، وهَذِهِ الفِتنَةُ الَّتي قَد مَلَأتُم بِهَا الدُّنيَا؛ هَل أَثَارَهَا إِلَّا ذَلكَ ؟! .

ونَحنُ قَد سَمِعنَا هَذَا بِدِمَشقَ؛ لَكِن مَا اعتَقَدنَا أَنَّ عَاقِلًا يُصَدِّقُ بِذَلكَ .

وهَؤُلَاءِ القَومُ بَعدَ أَن خَرَجَ مِن أَنفُسِهِم تُهمَةُ المُلكِ إِذَا ذُكِرَ لَهُم بَعضُ مَا يَقُولُهُ المُنَازِعُونَ لِي يَستَعظِمُونَهُ جِدًّا، ويَرَونَ مُقَابَلَةَ قَائِلِهَا بِأَعظَمِ العُقُوبَةِ .

فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ يَقُولُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ [الفتح]» انتهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«ولَكن أَنتُم مَا كَانَ مَقصُودُكُم إِلَّا دَفعَ "أَمرِ المُلكِ"، لِمَا بَلَغَكُم مِن الأَكَاذِيبِ.

فَقَالَ يَا مَولَانَا: دَع "أَمرَ المُلكِ"، أَحَدٌ مَا يَتكَلَّمُ في المُلكِ .

فَقُلتُ: إِيهْ السَّاعَةُ مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَتكَلَّمُ في المُلكِ ؟ .

= عِندَ رَبِّهِم إِذَا لَقَوهُ ؟؛ نَسأَلُ اللهَ أَن يَغفِرَ للجَمِيعِ، ويُدخِلَهُم في وَاسِعِ رَحمَتِهِ، وإِحسَانِهِ .

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢٣٦-٢٣٧) .

وهَل قَامَت هَذِهِ الفِتنَةُ إلَّا لأَجلِ ذَلِكَ ؟[1] .

ونَحنُ سَمِعنَا - بِهَذَا - ونَحنُ بِالشَّامِ أَنَّ المُثِيرَ لَهَا "تُهمَةُ المُلكِ"؛ لَكِن مَا اعتَقَدنَا أَنَّ أَحَدًا يُصَدِّقُ هَذَا .

وذَكَرتُ لَهُ أَنَّ هَذِهِ القِصَّةَ لَيسَ ضَرَرُهَا عَلَيَّ؛ فَإِنِّي أَنَا مِن أَيِّ شَيءٍ أَخَافُ ؟ .

إن قُتِلتُ كُنتُ مِن أَفضَلِ الشُّهَدَاءِ، وكَانَ ذَلكَ سَعَادَةً في حَقِّي: يُتَرَضَّى بِهَا عَلَيَّ إلَى يَومِ القِيَامَةِ، ويُلعَنُ السَّاعِي في ذَلِكَ إلَى يَومِ القِيَامَةِ .

فَإِنَّ جَمِيعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ - يَعلَمُونَ أَنِّي أُقتَلُ عَلَى الحَقِّ، الَّذي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ[2] .

---

(١) تَأَمَّل هَذَا .

(٢) ومِصدَاقُ هَذَا مَا تَرَاهُ مِن مَوقِفِ سَائِرِ أَهلِ الشَّامِ مِن العُلَمَاء، والعَامَّةِ مِن طَلَبِ ابنِ تَيميَّةَ إلى مِصرَ، ثُمَّ حَبسِهِ بَعدَ ذَلكَ، ومَا تَراهُ - أَيضًا - مِن مَوقِفِ أَهلِ بَغدَادَ مِن حَبسِ هَذَا الإِمَام، ومِن مُرَاسَلَةِ جَمَاعَةٍ مِن أَعيَانِ العُلَمَاءِ السُّلطَانَ في التِمَاسِ المَرحَمَةِ لِهَذَا العَالِمِ، الَّذي لا نَظِيرَ لَهُ في زَمَانِهِ، ومَا تَرَاهُ كَذَلكَ مِن أَثَرِ مَوتِهِ في النَّاسِ في دِيَارِ الإِسلام؛ حَتَّى قِيلَ: «**لَم يَتَخَلَّف عَن جَنَازَتِهِ إلَّا أَربَعَةُ أَنفُسٍ مَنَعَهُم خَوفُهُم مِن العَامَّةِ أَن يَقتُلُوهُم؛ فَاختَبَؤا !!**»، وكَانَت عَامَّةُ المُسلمِينَ في أَقطَارِ الإِسلام تُعَظِّمُهُ، وتُرَاسِلُهُ، وتَستَفتِيهِ، وهَذَا كُلُّهُ مِصدَاقٌ لِمَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالى لَهُ مِن المَحَبَّةِ، والقَبُولِ .

قَالَ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ: «**لَهُ مِن الطَّرَفِ الآخَرِ مُحِبُّونَ مِن العُلَمَاءِ، والصُّلحَاء، ومِن الجُندِ، والأُمَرَاء، ومِن التُّجَّار، والكُبَرَاء، وسَائِرُ العَامَّة تُحِبُّهُ !**» انتَهى .

وقَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ: «**استَقَرَّ عِندَ عَامَّةِ المُؤمِنِينَ، وخَوَاصِّهِم مِن أَمِيرٍ، وقَاضٍ، وفَقِيهٍ، ومُفتٍ، وشَيخٍ، وجَمَاعَةِ المُجتَهِدِينَ** - إلَّا مَن شَذَّ مِنَ الأَغمَارِ الجُهَّالِ، مع =

وإن حُبِستُ فَوَالله إنَّ حَبسي لَـمِـن أَعظَمِ نِعَمِ الله عَلَيَّ ! .

ولَيسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيهِ: لا مَدرَسَةَ !، ولا إقطَاعَ !، ولا مَـالَ !، ولا رِئَاسَةَ !، ولا شَيئًا مِن الأَشيَاءِ .

ولَكنَّ هَذِهِ القِصَّةَ ضَرَرُهَا يَعُودُ عَلَيكُم: فَإِنَّ الَّذينَ سَعَوا فِيهَا مِن الشَّامِ أَنَا أَعلَمُ أَنَّ قَصدَهُم فِيهَا كَيدُكُم، و"فَسَادُ مِلَّتِكُم"، و"دَولَتِكُم"[1] .

وقَد ذَهَبَ بَعضُهُم إِلَى بِلَادِ التَّتَر، وبَعضُهُم مُقِيمٌ هُنَاكَ .

فَهُم الَّذِينَ قَصَـدُوا "فَسَـادَ دِينِكُم"، و"دُنيَـاكُم"[2]، وجَعَلُـوني إِمَامًـا بِالتَّسَتُّرِ؛ لِعِلمِهِم بِـأَنِّي أُوَالِـيكُم، وأَنصَـحُ لَكُـم، وأُرِيـدُ لَكُـم خَـيرَ الـدُّنيَا، والآخِرَةِ.

= الذِّلَّة، والصَّغَار- مَـحَـبَّـةُ الشَّيخِ، وتَـعـظِـيمُـهُ، وقَـبُـولُ كَـلَامِـهِ، والرُّجُـوعُ إِلَى أَمـرِهِ، ونَـهـيِهِ» انتَهَى مِن «البدَايَةِ والنِّهَايَة» (١٤/ ٥٦) .

وانظُر: «تَرجَمَةَ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ للذَّهَبيِّ» (ص ٨٠/ ت د خَالِدِ الرَّبَعيِّ)، و«العُقُودَ الدُّرِيَّة» (ص ١٣٤ و٣٥٨-٣٧٦) ، و«ذَيلَ طَبَقَات الحَنَابلَة» (٤/ ٥٠٦) .

(١) تَأَمَّل هَذَا .

(٢) لأَنَّهُم يُوَالُونَ التَّتَارَ، كَمَا سَبَقَ - قَريبًا-، ومَصَالِحُهُم في دِينهم، ودُنيَاهُم مَعَ التَّتَار أَكثَرُ، وأَعظَمُ؛ لتَعظيم التَّتَار لَـهُم؛ لغَلَبَةِ جَهلِهِم؛ حَتَّى قَالَ شَـيخُ الرِّفَاعيَّـةِ في المُنَاظَرَة المَشهُورَة: «نَحنُ أَحوَالُنَا إِنَّمَـا تَنفُقُ عِندَ التَّتَرِ، لَيسَت تَنفُقُ عِندَ الشَّـرعِ !!»، وسَبَقَ - أَيضًا- أَنَّ زُمَرًا مِنهُم كَانُوا (خُفَرَاءَ للتَّتَار)، وهُم الَّذينَ ثَبَّطُـوا الجُنـدَ عَـن جِهَاد التَّتَار؛ حَتَّى كَادَ الدِّينُ أَن يَذهَبَ !؛ فـ(تَظَـاهُرُ) هَـؤُلاءِ بمُـوَالاةِ السُّـلطَانِ، والدَّولَةِ كُلُّهُ كَذبٌ، ونِفَاقٌ، ومَحَبَّتُهُم للتَّتَار، ومُلُـوكِهِم أَعظَـمُ، وأَكـبَرُ، ومُـوَالَاتُهم لَـهُم أَكثَرُ، وأَظهَرُ ! . =

والقَضِيَّةُ لَـهَا أَسرَارٌ !؛ كُلَّمَـا جَاءَت تَنكَشِفُ[1] .

وإِلَّا فَأَنَا لَـم يَكُن بَيني، وبَينَ أَحَدٍ بِمِصرَ عَدَاوَةٌ، ولا بُغضٌ، ومَازِلـتُ مُحِبًّا لَـهُم، مُوَالِيًا لَـهُم: أُمَرَائِهِم، ومَشَايِخِهِم، وقُضَاتِهِم» انتَهى[2] .

❑ ❑ ❑

وكَـرَّرَ هَذَا المَعنَى في مُحَاوَرَتِهِ لعَلاءِ الدِّينِ الطَّيبَرسيِّ أَمينِ رَسُولِ نَائـبِ السُّلطَانِ؛ فقَالَ :

= وقَد ظَهَرَ زَيفُ هَؤُلاءِ، وفُضِحُوا، وسُـوِّدَت وُجُـوهُهُم، وقُهِـرُوا، والحَمـدُ لله وَحدَهُ .

(١) وهَذَا مِن عِلمِ شَيخِ الإِسلام، ومَعرفَتِهِ بـ"سِيَاسَاتِ الأُمُور"، وهَكَذَا يَكُونُ العَالِـمُ الـمُـصـلِـحُ .

ومِن أَعظَمِ أَسرَارِهَا: أَنَّ "أَعدَاءَ الإِسـلَام" سَـاعُونَ في إِسـقَاط "دُوَل السُّـنَّة"، وإِحلَال دَولَةِ التَّتَار مَحلَّهَا؛ فيَعلُو سُوقُ الرَّافضَة، والبَاطنيَّة، والحُلُوليَّـة، والاتِّحَاديَّـة، وتُغَيَّرُ مَعَالـمُ دِينِ الإِسلَام، وهَذَا لا يَكُـونُ إِلَّا بإِسـقَاط "أَنصَـار الـدُّوَلِ السُّـنِّيَّة"، وحُمَاتِهَا مِن العُلمَـاءِ، وغَيرِهِم، وهَذَا كَيدٌ كُبَّارٌ !، وهُـوَ "إِسـقَاطُ دَولَـةٍ" بـ"اسـم حِمَايَتِهَا مِن إِسقَاطِهَا !"، وهَذَا لا يَفطِنُ لَهُ أَكثَرُ النَّـاظِرِينَ في (ظَـاهِرِ) أَسـبَاب هَـذِهِ الفِتنَةِ؛ وقَد أَشَارَ شَيخُ الإِسلام ابنُ تَيميَّة إِلى هذَا؛ فقَالَ في رِسَالَةٍ لأَصحَابِهِ: «وأَنـتُم فَأَبشِـرُوا مِن أَنوَاعِ الخَيرِ، والسُّـرُورِ بِمَـا لَـم يَخطُر في الصُّدُورِ، **وشَأنُ هَذِهِ القَضِيَّةِ؛ ومَا يَتَعَلَّقُ بِهَا أَكبَرُ مِـمَّـا يَظُنُّهُ مَن لا يُرَاعِي إِلَّا "جُزئِيَّاتِ الأُمُورِ"**» انتَهَى [«مَجمُـوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢١٤)].

وقَد أَجَادَ في تَحرير هَذَا المَوطنِ الدَّقيقِ – بمَـا قَد لا تَرَاهُ لغَيرِهِ–: الشَّيخُ البَحَّاثَةُ مَشهُورُ بنُ حَسَنٍ – جَزَاهُ اللهُ خَيرًا– في كتَابِهِ النَّافعِ: «الأَغَاليطِ في المَرَاسم السُّلطَانيَّة الصَّادرَة في حَقِّ شَيخِ الإِسلام ابنِ تَيميَّة» (٢/ ٩٤٣–٩٦٠) .

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢٥٩–٢٦٠) .

«ولِـهَـذَا كَانَ فِيمَـا خَاطَبتُ بِهِ أَمِينَ الرَّسُولِ عَلَاءَ الدِّينِ الطَّـبرسيَّ أَن قُلتُ: هَذِهِ "القَضِيَّةُ" لَيسَ الحَقُّ فِيهَا لِي، بَـل لله، ولرَسُـولِهِ، وللمُـؤمِنِينَ مِـن شَرقِ الأَرضِ إِلَى مَغرِبِهَا؛ وأَنَا لَا يُمكنُنِي أَن أُبَـدِّلَ الـدِّينَ، ولا أُنَكِّـسَ رَايَـةَ المُسلِمِينَ .

ولا أَرتَدُّ عَن دِينِ الإِسلَامِ لأَجلِ فُلَانٍ، وفُلَانٍ .

نَعَم يُمكنُنِي أَن لَا أَنتَصِـرَ لِنَفسِي، ولا أُجَازِيَ مَـن أَسَـاءَ إِليَّ، وافـتَرَى عَلَيَّ، ولا أَطلُبُ حَظِّي، ولا أَقصِدُ إِيذَاءَ أَحَدٍ بِحَقِّي، وهَذَا كُلُّـهُ مَبذُولٌ مِنِّي، ولله الحَمدُ، ونَفسِي طَيِّبَةٌ بِذَلكَ[1] .

وكُنتُ قَد قُلتُ لَهُ: الضَّرَرُ فِي هَذِهِ "القَضِيَّةِ" لَيسَ عَلَيَّ؛ بَل عَلَيكُم !.

فَإِنَّ الَّذِينَ أَثَارُوهَا مِن أَعـدَاءِ الإِسـلَامِ: الَّـذِينَ يُبغِضُـونَهُ، ويُبغِضُـونَ أَولِيَاءَهُ، والمُجَاهِدِينَ عَنهُ، ويَختَارُونَ انتِصَارَ أَعدَائِهِ مِن التَّتَارِ، ونَحوِهِم[2] .

وهُم دَبَّرُوا عَلَيكُم حِيلَةً يُفسِدُونَ بِهَا "مِلَّتَكُم"، و"دَولَتَكُم"[3] .

وقَد ذَهَبَ بَعضُهُم إِلَى بُلدَانِ التَّتَارِ، وبَعضُـهُم مُقِـيمٌ بِالشَّـامِ، وغَـيرِهِ؛ ولِـهَذِهِ القَضِيَّةِ أَسرَارٌ، لا يُمكِنُنِي أَن أَذكُرَهَا، ولا أُسَمِّيَ مَن دَخَلَ فِي ذَلِـكَ؛ حَتَّى تُشَاوِرُوا نَائِبَ السُّلطَانِ؛ فَإِن أَذِنَ فِي ذَلكَ ذَكَرتُ لَكَ ذَلكَ .

وإِلَّا فَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لَهُ، ومَا أَقُولُهُ؛ فَاكشِفُوهُ أَنتُم ! .

فَاستَعجَبَ مِن ذَلكَ، وقَالَ يَا مَولَانَا: أَلَا تُسَمِّي لِي أَنتَ أَحَدًا ؟ .

---

(١) وهَذَا مِن أَكبَرِ مَنَاقب شَيخِ الإِسلام ابنِ تَيميَّة، وقَد سَبَقَ فَصلٌ فِي هَذَا .

(٢) تَأَمَّل هَذَا .

(٣) تَأَمَّل هَذَا .

فَقُلتُ: وأَنَا لَا أَفعَلُ ذَلكَ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَصلُحُ.

لَكِن تَعرِفُونَ مِن حَيثُ الجُملَةِ أَنَّهُم قَصَدُوا "فَسَادَ دِينِكُم"، و"دُنيَاكُم".

وجَعَلُوني إمَامًا تَستُّرًا؛ لِعِلمِهم بِأَنِّي أُوَالِيكُم، وأَسعَى في صَلَاحِ دِينِكُم، ودُنيَاكُم، وسَوفَ - إن شَاءَ اللهُ- يَنكَشِفُ الأَمرُ[1].

---

(١) [حَادثَةُ تَزويرِ الكتَاب، وانكشَاف أَمر المُزَوِّرينَ، ومَن وَرَاءَهُم]

قَال الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ في حَوَادث سَنَة (٧٠٢):

«وفي جُمَادَى الأُولَى وَقَعَ بِيَدِ نَائِبِ السَّلطَنَةِ [جَمَالِ الدِّين الأَفرَم] كِتَابٌ مُزَوَّرٌ فيهِ أَنَّ "الشَّيخَ تَقيَّ الدِّين ابنَ تَيمِيَّةَ"، و"القَاضيَ شَمسَ الدِّينِ ابنَ الحَرِيرِيِّ"، وجَمَاعَةً مِنَ الأُمَرَاءِ، والخَوَاصِّ الَّذِينَ بِبَابِ السَّلطَنَةِ: يُنَاصِحُونَ التَّتَرَ!، ويُكَاتِبُوهُم!، ويُرِيدُونَ تَولِيَةَ قَبجَقَ عَلَى الشَّامِ، وأَنَّ "الشَّيخَ كَمَالَ الدِّينِ ابنَ الزَّملَكَانِيِّ" يُعلِمُهُم بأَحوَال الأَمِير جَمَال الدِّين الأَفرَم، وكَذَلكَ "كَمَالُ الدِّينِ ابنُ العَطَّارِ"!؛ فلَمَّا وَقَفَ عَلَيهِ نَائِبُ السَّلطَنَةِ عَرَفَ أَنَّ هَذَا مُفتَعَلٌ!؛ فَفَحَصَ عَن وَاضِعِهِ؛ فَإِذَا هُوَ فَقِيرٌ كانَ مُجاوراً بالبَيت الَّذي كانَ مجاورَ محرَابِ الصَّحابَة، يُقَالُ لَهُ (اليَعفُورِيُّ)، وآخَرُ مَعَهُ يقَالُ لهُ (أَحمَد القُبَاريُّ)، وكَانَا مَعرُوفَينِ بِالشَّرِّ، والفُضُولِ، ووُجِدَ مَعَهُمَا مُسَوَّدَةُ هَذَا الكِتَابِ؛ فَتَحَقَّقَ نَائِبُ السَّلطَنَةِ ذَلِكَ؛ فَعُزِّرَا تَعزيراً عَنيفاً، ثُمَّ وُسِّطَا بَعدَ ذَلكَ، وقُطِعَت يَدُ الكَاتِبِ الَّذي كَتَبَ لَهُمَا هَذَا الكتَابَ، وهُوَ التَّاجُ المَنَادِيليُّ» انتَهَى مِن «البدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ٢٦)، وقَد سَاقَ الحَافظُ البِرزَاليُّ (ت٧٣٩) هَذِه الوَاقعَةَ في «تَارِيخِهِ» «المُقتَفِي لتَاريخ أبي شَامَة» - وهُوَ مِن أَوثَق مَصَادرِ ابنِ كَثيرٍ في «تَارِيخِهِ»-، زَادَ البِرزَاليُّ أَنَّ القَبَاريَّ بَعدَ ضَربِهِ: «اعتَرَفَ، وعَيَّنَ جَمَاعةً مِن الأَكَابر أَشَارُوا عَليهِمَا بذَلكَ، وكَانَ قَصدُهُم تَشويشَ خَاطِرِ الأَمير عَلَى خَوَاصِّهِ، والسَّعيَ في إهلَاك المَذكُورينَ في الكتَاب؛ فانجَلَت القَضِيَّةُ للأَمير، وعَرَفَ الأَمرَ فيهَا مَعرفَةً شَافيةً» انتَهَى مِن «تَارِيخِهِ» «المُقتَفِي لتَاريخ أبي شَامَة» =

قُلتُ لَهُ: وإِلَّا فَأَنَا عَلَى أَيِّ شَيءٍ أَخَافُ ؟! .

إن قُتِلت كُنتُ مِن أَفضَلِ الشُّهَدَاءِ، وكَانَ عَلَيَّ الرَّحمَةُ، والرِّضوَانُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، وكَانَ عَلَى مَن قَتَلَني اللَّعنَةُ الدَّائِمَةُ في الدُّنيَا، والعَذَابُ في الآخِرَةِ؛ لِيَعلَمَ[1] كُلُّ مَن يُؤمِنُ بِالله، ورَسُولِهِ أَنِّي إن قُتِلتُ؛ [فَـ]لأَجلِ دِينِ الله، وإِن حُبِستُ فَالحَبسُ في حَقِّي مِن أَعظَمِ نِعَمِ الله عَلَيَّ .

ووالله مَا أُطِيقُ أَن أَشكُرَ نِعمَةَ الله عَلَيَّ في هَذَا الحَبسِ ![2] .

ولَيسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيهِ لَا أَقطَاعِي !، ولا مَدرَسَتي !، ولا مَالِي !، ولا رِيَاسَتي !، وجَاهِي ! .

وإِنَّمَا الخَوفُ عَلَيكُم إِذَا ذَهَبَ مَا أَنتُم فِيهِ مِن "الرِّيَاسَةِ"، و"المَالِ"، و"فَسَدَ دِينُكُم" الَّذي تَنَالُونَ بِهِ "سَعَادَةَ الدُّنيَا"، و"الآخِرَةِ"، وهَذَا كَانَ مَقصُودُ العَدُوِّ، الَّذي أَثَارَ هَذِهِ الفِتنَةَ .

وقُلتُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بِمِصرَ مِن الأُمَرَاءِ، والقُضَاةِ، والمَشَايِخِ: إِخوَاني، وأَصحَابي؛ أَنَا مَا أَسَأتُ إِلَى أَحَدٍ مِنهُم قَطُّ، ومَازِلتُ مُحسِنًا إِلَيهِم؛ فَأَيُّ شَيءٍ بَيني وبَينَهُم، ولَكِن لَبَّسَ عَلَيهِم المُنَافِقُونَ أَعدَاءُ الإِسلَامِ .

= (ص١٩٢/ ت يُوسف الزَّاملي/ رسَالة دُكتُوراة في جَامعَة أُم القُرى/ ١٤١٤-١٤١٥/ ١٩٩٤-١٩٩٥م) .

(١) كذَا في المَطبُوع؛ ولَعَلَّ الصَّوَابَ: [لِعِلمِ كُلِّ] .

(٢) تَقَدَّمَ إِيضَاحُ هذهِ المَعَاني العَظيمَة عِندَ شَيخِ الإِسلام ابنِ تَيميَّةَ في كِتَاب "جِهَادُ شَيخِ الإِسلَام ابنِ تَيمِيَّةَ في الرَّدِّ عَلَى أَهلِ المِلَلِ والنِّحَلِ والأَهوَاءِ والبِدَعِ" في الفَصل الخَامسِ، وعُنوَانه: "مَا كَانَ عَلَيهِ مِن طِيبِ العَيشِ، وبَحبُوحَةِ السَّعَادَةِ مَعَ مَا يَنَالُهُ مِن شِدَّةِ البَلَاءِ، والمِحَنِ، وأَنوَاعِ الأَذَى" .

وأَنَا أَقُولُ لَكُم - لَكِن لَـم يَتَّفِق أَنِّي قُلتُ هَذَا لَهُ- : **إِنَّ فِي الْـمُؤمِنِينَ مَـن يَسمَعُ كَلَامَ الْمُنَافِقِينَ، ويُطِـيعُهُم؛ وإِن لَـم يَكُـن مُنَافِقًـا**، كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة/ ٤٧] .

وقُلتُ لَهُ: **هَذِهِ القَضِيَّةُ أَكبَرُ مِـمَّـا فِي نُفُوسِكُم؛ فَإِنَّ طَائِفَةً مِـن هَـؤُلَاءِ الأَعدَاءِ ذَهَبُوا إِلَى بِلَادِ التَّتَر** .

فَقَالَ: **إِلَى بِلَادِ التَّتَر؟** .

فَقُلتُ: **نَعَم** .

هُم مِن أَحرَصِ النَّاسِ عَلَى تَحرِيكِ الشَّـرِّ عَلَـيكُم إِلَى أُمُـورٍ أُخـرَى، لا يَصلُحُ أَن أَذكُرَهَا لَكَ .. » انتَهى [(١)] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢١٤-٢١٧) .

[قَاصِمَةُ ظَهرِ الكَذبِ]

قَالَ تِلمِيذُهُ العَلَّامَةُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفصٍ عُمَرُ بنُ عَلِيٍّ البَزَّارُ (ت٧٤٩) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- عَن لقَاءِ شَيخِ الإِسلامِ بالمَلِكِ غَازَانَ التَّتَرِيِّ:

«وسَأَلَهُ[1] إِن أَحبَبتَ أَن أَعمُرَ لَكَ بَلَدَ آبَائِكَ حَرَّانَ، وتَنتَقِلَ إِلَيهِ، ويَكُونُ برَسمِكَ .

فَقَالَ: لا واللهِ، لا أَرغَبُ عَن مُهَاجَرِ إِبرَاهِيمَ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وسَلَّمَ-، **استَبدِلُ بِهِ غَيرُهُ»** انتَهى[2] .

قُلتُ: هذَا مِن أَظهَرِ الدَّلائلِ علَى زَيفِ تُهمَةِ طَلَبِ ابنِ تَيميَّةَ للرِّئاسَةِ، والمُلكِ؛ فهَا هُوَ مَلِكُ التَّتَارِ غَازَانَ - والتَّتَارُ يَومَئذٍ مِن أَقوَى دُوَلِ الدُّنيَا-، وأَكبَرِهَا رُقعَةً، يَطلُبُ مِن ابن تَيميَّةَ أَن يَجعَلَهُ وَاليًا، ومَالِكًا لأَرض حَرَّانَ، وأَن يَعمُرَهَا لَهُ المَلِكُ غَازَان؛ حتَّى تَصِيرَ مِن أَعظَمِ البلَادِ، وأَمنَعِهَا ! .

فمَا كَانَ مِن هَذَا العَالِمِ الزَّاهِدِ في الدُّنيَا، الرَّاغِبِ فِيمَا عِندَ الله في الآخِرَةِ إِلَّا أَن آثَرَ بقَاءَهُ فَقِيرًا مُعدِمًا، يُطعِمُهُ إِخوَانُهُ قُوتَ يَومِه بمَا وُجِدَ، مُقيمًا في مُهَاجَرِ نَبيِّ الله إبرَاهِيمَ - عَلَيهِ السَّلَامُ-؛ فتَأَمَّل هَذِهِ **"الصُّورَةَ الصَّادقَةَ"** الَّتي اقتَرَنَ فيهَا القَولُ بالعَمَلِ .

ولَو طَلَبَ ابنُ تَيميَّةَ "دِمَشقَ" ! لأَعطَاهَا لَهُ؛ ولَكنَّ هَذَا العَالِمَ قَد رَغِبَ فِيمَا عِندَ الله تعَالى وَحدَهُ، وهُوَ يَنتَظِرُ لقَاءَهُ؛ ولِهَذا قَالَ رَافعًا صَوتَهُ

---

(١) أَي: غَازَان .

(٢) انظُر: «الأَعلَامَ العَليَّة في مَنَاقب ابن تَيميَّة» (ص٧١) .

الجَهوَريَّ بصَولَةِ الصِّدقِ، المُجَلجِلِ في القُلُوبِ للسُّلطَانِ النَّاصِـــر، ومَلَئِـهِ : **"أَنَا أَفعَلُ ذَلِكَ!! واللهِ إِنَّ مُلكَكَ، ومُلكَ المُغلِ لا يُسَاوِي عِندِي فِلسَينِ !!"** .

اللهُ أَكبَرُ ! .

والصِّـدقُ يَـبرُزُ مِـن بَطـنِ الخَفَـا عَلَنًـا

والحَقُّ يَظهَرُ مِن (مَعنًى) ومِن (كَلِم)

❑ ❑ ❑

[قَـاصِـمَـةٌ ثَانيَةٌ]

وقَد سَبَقَت في أَوَّل كتَابي "جِـهَـادُ شَيخِ الإسلَام ابنِ تَـيمِـيَّةَ في الرَّدِّ عَلَى أَهل الـمِلَلِ والنِّحَلِ والأَهوَاءِ والبدَعِ"، وأَعَدتُها هُنَا للمُنَاسَبَةِ :

قُلتُ :

واسمَع إلى شَيخِ الإسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- وهُـوَ يَقُـولُ للمَدَّاحينَ لَهُ بَعدَ الانتِصَار علَى التَّتَار في مَوقِفٍ عَظِـيمٍ مَهيـبٍ مَهُـولٍ، يَزيـغُ قُلُوبَ مَن يُريدُ العُلُوَّ في الأَرض، والمُلـكَ، والوِلَايَـةَ، والرِّئاسَـةَ؛ فتَأَمَّـل مَـا يَحكِيهِ تِلمِيذُهُ ابنُ عَبدِ الـهَـادي عَنهُ؛ فيَقُولُ :

«ودَخَلَ جَيشُ الإسـلَام المَنصُـورُ إِلَى دِمَشـقَ المَحرُوسَـةِ، **والشَّـيخُ في أَصحَابِهِ شَاكيًا في سِلَاحِهِ، دَاخِلًا مَعَهم، عَاليَةً كَلِمَتُهُ، قَائِمَةً حُجَّتُهُ، ظَاهِرَةً وِلَايَتُهُ، مَقبُولَةً شَفَاعَتُهُ، مُجَابَةً دَعوتُهُ، مُلتَمَسَةً بَرَكَتُهُ، مُكَرَّمًا، مُعَظَّمًـا، ذَا سُلطَانٍ، وكَلمَةٍ نَافِذَةٍ، وهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ للمَدَّاحِينَ لَهُ :**

"أَنَا رَجُلُ مِلَّةٍ، لَا رَجُلُ دَولَةٍ"» انتَهَى [(١)] .

نَعَم والله هُوَ "رَجُلُ مِلَّةٍ"، دَاعٍ إلى الله تَعَالى، نَـاصرٌ لكِتَـابِ الله، وسُـنَّةِ رَسُولِهِ، والأَمرِ الأَوَّلِ، والدِّينِ العَتيقِ، لا سَـاعٍ في مُلـكٍ، ولا وِلايَـةٍ، ولا دَولَةٍ - نَحسبِهِ كَذَلكَ، واللهُ حَسيبُهُ، ولا نُزكِّي علَى الله أَحَدًا- .

---

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّية» (ص١٩٣) .

[قَـاصِـمَـةٌ ثَالِثَةٌ]

كَانَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- مُعَظِّمًـا السُّـلطَانَ النَّاصرَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-، ودَولَتَهُ، عَظِيمَ الثَّنَاءِ عَلَيهِ، كَثيرَ الدُّعَاء لَـهُ كُلَّمَـا ذَكَرَهُ، وكَاتَبَهُ.

ومِن ذَلكَ قَولُهُ عَنهُ: «.. [**وَلِيُّ الأَمر**] **السُّلطَانُ الَّـذِي مَـا رُئِـيَ فِي هَـذِهِ الأَزمَانِ سُلطَانٌ مِثلُهُ زَادَهُ اللهُ عِلمًـا، وتَسدِيدًا، وتَأيِيدًا**» انتَهَى[1].

هَكَذَا يُعَظِّمُ شَيخُ الإِسلَامِ المَلكَ النَّاصرَ، ويَعلَمُ مَا هُوَ عَلَيهِ مِن نُصـرَةٍ للإِسلام، وخَيرٍ كَثيرٍ؛ ولـهَذَا فَهُو يُعَظِّمُهُ، ويَدعُو لَه .

أَفَتَظُنُّ أَنَّ مَن يَكتُبُ هَذِهِ الكَلمَـاتِ "**يُبَيِّتُ فِي السِّـرِّ للانقِـلابِ!**" عَـلَى هَذَا الوَالِي، وإِسقَاطِ دَولَتِهِ ؟! .

❑ ❑ ❑

ومِن اللَّطِيفِ الدَّقيقِ جِدًّا، الدَّالِّ عَلَى صِدقِ مَوقِفِ شَيخُ الإِسـلَامِ مِـن المَلكِ النَّاصرِ :

أَنَّهُ قُبيلَ وفَاتِهِ بيَسِيرٍ فِي مَرَضِهِ الذَّي مَاتَ بِهِ، مَسجُونًا فِي قَلعَـةِ دِمَشـقَ **سَامَحَ المَلكَ النَّاصرَ عَلَى سَجنِهِ ظُلمًـا !، بَل واعتَذَرَ لَهُ عَن سَجنِهِ !!**؛ فَاسمَع بأُذُنَي قَلبكِ مَا يَقُولُ - وهُوَ مُشرفٌ عَلَى المَوتِ- :

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتاوى» (٢٧/ ٣١٤و٣١٥) .

قَالَ: "إِنِّي قَد أَحلَلتُ السُّلطَانَ المَلِكَ النَّاصِرَ مِن حَبسِهِ إِيَّايَ !؛ لكَونِهِ فَعَلَ ذَلكَ مُقَلِّدًا غَيرَهُ مَعذُورًا !، ولَم يَفعَلهُ لِحَظِّ نَفسِهِ !، بَل لِمَا بلَغَهُ مِمَّا ظَنَّهُ حَقًّا مِن مُبَلِّغِهِ !، واللهُ يَعلَمُ أَنَّهُ بِخِلَافِهِ .

وقَد أَحلَلتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا كَانَ بَيني وبَينَهُ إِلَّا مَن كَانَ عَدُوًّا لله، ورَسُولِهِ"» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

غَفَرَ اللهُ لابنِ تَيميَّةَ صَاحبِ هَذِهِ النَّفسِ الزَّكِيَّةِ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله .

إِذَا اشتَبَكَت دُمُوعٌ في خُدُودٍ

تَبَيَّنَ مَن (بَكَى) مِمَّن (تَبَاكَى)!

❑ ❑ ❑

وإِذَا كَانَتِ "النُّفُوسُ" كِبَارًا

تَعِبَت في مُرَادِهَا الأَجسَامُ

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «الأَعلَامَ العَليَّة في مَناقب ابن تَيميَّة» (ص٨١-٨٢) .

[قَـاصِـمَـةٌ رَابعَةٌ]

فِتنَةُ "السَّعي للمُلكِ" إذَا أُشرِبَهَا القَلبُ، ظَهَرَت - ولا بُـدَّ- في "كَـلامِ المَفتُون بهَا"، وفي "تَقريرَاتِهِ"، و"دَعوَتـهِ"، و"خَاصَّـةِ طُلَّابـهِ"، و"أَصـحَابِهِ"، و"مَجَالسِهِ الخَاصَّةِ".

فتَرَى "صُدُورَ أَخدَانِـهِ" مَشـحُونَةً ضِـدَّ "وَلِيِّ الأَمـرِ المُسـلِمِ"، وتَـرَاهُم مَشغُولِينَ بنَقدِهِ، وذِكرِ أَخطَائِهِ، لا يَكَادُونَ يَذكُرُونَ لَهُ إِحسَـانًا !، ويُهَوِّنُـونَ مِن شَأنِ الخُرُوجِ عَلَيهِ، ويَعتَذِرُونَ للخَارِجِينَ عَلَيهِ بأَنوَاعِ الأَعـذَارِ، بَـل قَـد يَجعَلُونَ هَذَا الوَالِي هُوَ السَّبَبَ الرَّئيسَ في خُرُوجِ هَؤُلاءِ !؛ لذُنُوبِهِ الَّتي نَشَرَهَا، وتَضييقِهِ عَلَيهِم.

وحَالُ ابنِ تَيمِيَّةَ في دَعوَتِهِ "العَامَّة"، و"الخَاصَّةِ"، يَنقُضُ هَذهِ "الأُكذُوبَةَ البَترَاءَ"؛ فَهُوَ الَّذي يَأمُرُ بعَدَمِ الخُرُوجِ عَلَى الأُمَراءِ، ووُلاةِ الأَمرِ في زَمَنِهِ.

ويَدعُو (جِهَارًا) إِلَى "طَاعَتِهِم في المَعرُوفِ"، ويَنشُـرُ أَنَّ "الخُرُوجَ عَلَيهِم مُحَرَّمٌ باتِّفَاقِ الأَئمَّةِ"، وأَنَّهُ "مَفسَـدَةٌ مَحضَـةٌ"، لا "مَصـلَحَةَ فِيـهِ البَتَّـةَ"!؛ مُـذ ظَهَرَت في الأُمَّةِ "فِتنَةُ الخُرُوجِ عَلَى السُّلطَانِ المُسلِمِ"، سَوَاءً كَانَ بـ"السِّـلَاحِ"، أَو "الكَلامِ"، فَضلًا عَن "التَّحريضِ"، و"تَزيينِ الخُـرُوجِ عَـلَى وُلاةِ الأُمُـورِ"، و"تَعظِيمِ أَخطَائِهِم"، و"كَتمِ مَحَاسِنِهِم"![1].

---

(١) وقَد بَيَّنتُ هَذَا بجَلاءٍ في كتَاب: «وُجُوبُ المُحَافَظَـةِ عَـلَى الـدُّوَلِ المُسـلِمَةِ، ووجُوبُ طَاعَةِ وُلاةِ الأَمرِ في المَعرُوفِ، ومَظَاهِرُ الانحِرَافِ عَن هَذَا الأَصلِ عِندَ أَهلِ السُّنَّةِ والجَمَـاعَةِ».

ولِـهَذَا لا تَرَى في طُلَّابِهِ، وأَتبَاعِهِ، ومُحِبِّيهِ فِكرَ "مُنَازَعَةِ السَّلاطِينِ"، وإِن كَانُوا ظَلَمَةً جَائرينَ، بَل وإِن "سَجَنُوهُم"!، وآذَوهُم، وعَذَّبُوهُم!!.

بَل هُم - في هذَا البَابِ- عَلَى جَادَّةِ أَهل السُّنَّةِ والجَمَـاعَةِ في:

"لُزُومِ الصَّبرِ"، و"إِخـمَـادِ الفِتَنِ"، و"تَهدئةِ العَامَّةِ"، و"نُصحِ الخَاصَّةِ".

وقَد كُنتُ جَمَعتُ نُقُولًا كَثيرَةً جِدًّا مِن كُتُب شَيخِ الإِسلامِ في تَقريرِ هَذَا الأَصل العَظيمِ مِن "أُصُول السُّنَّةِ" - الَّذِي مَن خَالَفَهُ خَرَجَ عَن السُّنَّةِ، كَمَـا قَالَ إِمَامُ السُّنَّةِ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ، وغَيرُهُ- في كتَابي «مِن فِقهِ الفِتن النَّازلَةِ»، وقَـد طُبِعَ في أَوَّلِ أَيَّامِ فِتنَةِ الرَّبيعِ العَربيِّ سَنَةَ (٢٠١١م).

فَليَرجِع إِلَيهِ مَن يَرغَبُ في الوُقُوفِ عَلَى تَقريرَاتِهِ في هَذَا البَـاب الكَبـيرِ، واللهُ وَحدَهُ الـهَـادي، والمُوَفِّقُ[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) ثُمَّ أَورَدتُ بَعضَهَا في مَا يَأتي - إِن شَاءَ اللهُ تَعَالى- في [قَـاصِـمَـةٌ خَامسَةٌ]، وسَتَرى فِيهِ بُحُوثًا نَفيسَةً جِدًّا.

[قَـاصِـمَـةٌ خَامسَةٌ]

سَلَكَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَــهُ اللهُ تَعَـالى- **طَرِيقَـةَ السَّـلَف الصَّالِحِ، أَهـلِ السُّـنَّـة والجَماعَـة في "بَـاب الـتَّـعَـامُــل مَـعَ وُلاةِ أَمــرِهِ"، و"دَولَـةِ الـمَـمَـاليكِ الـمُـسـلـمَـةِ"؛ فَـكَـانَ مُصلــحًا نَاصــحًا، ومُعِيــنًا عَلَى الـحَـقِّ .**

وهَـذَا المَوقفُ الجَليلِ مِنهُ المُوَافِقُ للنُّصُوص، ومَنهَج السَّـلَف الصَّـالح لَـم يُعجِب مَن **(غَلَو في هَذَا البَاب)** :

كالأُستَاذِ أَبي الأَعلى المَودُودِيِّ (ت١٣٩٩) - غَفَرَ اللهُ لَـهُ، ورَحِمَـهُ-[1] ؛ فَإِنَّهُ أَجَادَ في الثَّنَاء عَلَى شَيخِ الإِسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ، وسَـرَدَ جُهُـودَهُ العَظيمَـةَ في تَـجـديـدِ دِينِ الله تَعَالى، أُصُـولًا، وفُـرُوعًـا؛ فَـأَحـسَـنَ فـيـمَـا ذَكَـرَهُ .

إِلَّا في هَـذَا البَاب **"بَابِ طَاعَتِهِ لوُلاةِ أَمـرِهِ في المَعرُوفِ"؛ فَعِندَهُ أَنَّـهُ لَـم يُـوَفَّـق فِـيـهِ !!** .

قَالَ مَـا حَـرفُـهُ :

---

(١) مُفَكِّرٌ إسلَاميٌّ غلَا في أبـوَاب الحُكـم، وتوَسَّـعَ في التَّكفِـير، وقَـرَّرَ أَفكَـارَ الخَوَارج بأُسلُوب عَصـريٍّ، وكَفَّـرَ الدُّوَلَ، ووَصَفَ مُجتَمَعَاتِهَا بالجَاهِليَّـة الكُـبرَى!، ودعَا إلى الانقِلَاب عَلَيهَا، وتَأَثَّرَ بأُطرُوحَاتِهِ (سَيِّد قُطب)، ونَقَلَهَا، وتَبَنَّاهَا في كتَابِهِ في «ظِلَال القُرآنِ»، و«مَعَالِـم في الطَّريق»، والمَودُودِيُّ يُعتَبَرُ (المُنَظِّرَ الأَوَّلَ) للمُعَاصِرِينَ مِن الفِرَقِ، والطَّوَائفِ، والجَمَـاعَاتِ الغَاليَـة، الَّتـي انتَقَـدَ أَهـلُ العِلـم الرَّاسِـخُونَ فِكرَهَا، وسَيرَهَا .

«عَلَى أَنَّهُ مِن الوَاقعِ مَعَ ذَلكَ كُلِّهِ أَنَّهُ لَـم يُوَفَّق لبَعثِ حَرَكَة سيَاسـيَّةٍ في المُسلمينَ يَحدثُ بهَا الانقِلابُ في نظَامِ الحُكمِ، وتَنتَقلُ مَقَاليدُ الحُكم، والسُّلطَةِ مِن أَيدي الجَاهليَّة إلى أَيدي الإِسلامِ» انتَهَى[1].

(١) انظُر: كتَابَهُ «مُوجِزَ تَاريخ تَجدِيد الدِّين وإحيَائِهِ» (ص٩٠).
أَرشَدَني إِلَى كَلامِ المَودُوديِّ الشَّيخُ الـمُـفِـيـدُ الـمُـكَـرَّمُ أَبو العَبَّاس عَـادلُ بـنُ مَنصُورٍ - جَزَاهُ اللهُ خَيرًا، وأَثَابَهُ -.

[الرَّدُّ المُحكَمُ عَلَى فِكرِ أَبي الأَعلَى المَودُوديِّ "الثَّوريِّ" مِن كَلامِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ]

وهَذَا الفِكرُ الَّذي يَدعُو إلَيهِ الكَاتبُ - عَفَا اللهُ عَنهُ- هُوَ عِندَ ابنِ تَيميَّةَ مِن فِكرِ الخَوَارج المُنَابذِ لعَقيدَة أَهل السُّنَّة والجَمَاعَة في لُزُوم الطَّاعَةِ في المَعرُوفِ، والصَّبر علَى جَورِ الوُلَاةِ، والحَذَرِ مِن شَقِّ عَصَا الجَمَاعَةِ .

وفي تَقرير هَذَا يَقُولُ مُبيِّنًا سَببَ الدُّخُول في فِتنَة قِتَال الوُلاةِ، والخُرُوج عَلَيهم بالسِّلاحِ :

«ومِمَّا يَنبَغي أَن يُعلَمَ :

أَنَّ أَسبَابَ هَذِهِ الفِتَنِ تَكُونُ مُشتَرَكَةً؛ فَيَرِدُ عَلَى القُلُوبِ مِنَ الوَارِدَاتِ مَا يَمنَعُ القُلُوبَ عَن مَعرِفَةِ الحَقِّ، وقَصدِهِ .

ولِهَذَا تَكُونُ بِمَنزِلَةِ الجَاهِلِيَّةِ، والجَاهِلِيَّةُ لَيسَ فِيهَا مَعرِفَةُ الحَقِّ، ولا قَصدُهُ، والإِسلَامُ جَاءَ بِالعِلمِ النَّافِعِ، والعَمَلِ الصَّالِحِ، بِمَعرِفَةِ الحَقِّ، وقَصدِهِ.

فَيَتَّفِقُ أَنَّ بَعضَ الوُلَاةِ يَظلِمُ بِاستِئثَارٍ؛ فَلَا تَصبِرُ النُّفُوسُ عَلَى ظُلمِهِ ! .

ولا يُمكِنُهَا دَفعُ ظُلمِهِ إِلَّا بِمَا هُوَ أَعظَمُ فَسَادًا مِنهُ ! .

ولَكِن لأَجلِ مَحَبَّةِ الإِنسَانِ لأَخذِ حَقِّهِ، ودَفعِ الظُّلمِ عَنهُ، لا يَنظُرُ في الفَسَادِ العَامِّ الَّذي يَتَوَلَّدُ عَن فِعلِهِ .

ولِـهَـذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُم سَتَلقَونَ بَعدِي أَثَـرَةً؛ فَاصـبِرُوا؛ حَتَّـى تَلقَونِي عَلَى الحَوضِ» انتَهَى[1].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا -:

«نَـهَـى النَّبِيُّ ﷺ عَن القِتَال فِي الفِتنَةِ، وكَانَ ذَلكَ مِـن أُصُـولِ السُّـنَّةِ، وهَذَا مَذهَبُ أَهل السُّنَّةِ، والحَدِيثِ، وأَئمَّةِ أَهـل الـمَـدِيـنَـة مِـن فُقَهَـائهم، وغَيرِهِم..

ومِن أُصُولِ هَذَا الـمَـوضِـعِ:

أَنَّ مُـجَـرَّدَ وجُودِ البَغي مِن إِمَام، أَو طَائِفَةٍ لَا يُوجبُ قِتَالَـهُم؛ بَـل لا يُبيحُهُ.

بَل مِن الأُصُول الَّتِي دَلَّت عَلَيهَا النُّصُوصُ:

أَنَّ الإِمَامَ الجَائرَ الظَّالِـمَ يُؤمَـرُ النَّـاسُ بِالصَّـبرِ عَـلَى جَـورِهِ، وظُلمِـهِ، وبَغيِهِ، ولا يُقَاتِلُونَهُ.

كَمَـا أَمَـرَ النَّبِيُّ ﷺ بذَلكَ فِي غَير حَدِيثٍ.

فَلَم يَأذَن فِي دَفع البَغي مُطلَقًا بِالقِتَالِ، بَل إِذَا كَانَت فِيهِ فِتنَةٌ نَهَى عَن دَفعِ البَغي بِهِ، وأَمَـرَ بِالصَّبرِ» انتَهَى[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة» (٤/ ٥٣٨-٥٣٩).

(٢) انظُر: «الاستِقَامَة» (١/ ٣٢).

وقَالَ - أَيضًا - :

«فَإِنَّ قِتَالَ اللُّصُوص لَيسَ قِتَالَ فِتنَةٍ؛ إِذ النَّاسُ كُلُّهُم أَعوَانٌ علَى ذَلـكَ؛ فَلَيسَ فِيهِ ضَرَرٌ عَامٌّ علَى غَير الظَّـالِـم بِخِلَاف قِتَالِ "وُلَاةِ الأُمُـور"؛ فَإِنَّ فِيـهِ فِتنَةً، وشَـرًّا عَامًّا أَعظَمَ مِن ظُلمِهم؛ فَالـمَـشُـروعُ فِيهِ الصَّبرُ» انتَهَى [1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ بِتَحصِيلِ الـمَـصَـالِـحِ، وتَكمِيلِـهَـا، وتَعطِيلِ الـمَـفَـاسِـدِ، وتَقلِـيلِـهَا .

فَإِذَا تَوَلَّى خَلِيفَةٌ مِنَ الخُلَفَاءِ، كَيَزِيدَ، وعَبدِ المَلِكِ، والمَنصُورِ، وغَيرِهِم :

فَإِمَّا أَن يُقَالَ: يَـجِـبُ مَنعُـهُ مِنَ الوِلَايَةِ، وقِتَالُـهُ؛ حَتَّى يُوَلَّى غَيرُهُ، كَمَـا يَفعَلُهُ مَن يَرَى السَّيفَ؛ فَهَذَا رَأيٌ فَاسِـدٌ [2] ! .

فَإِنَّ مَفسَدَةَ هَذَا أَعظَمُ مِن مَصلَحَتِـهِ .

وقَلَّ مَن خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ ذِي سُلطَـانٍ إِلَّا كَانَ مَا تَوَلَّـدَ عَـلَى فِعلِـهِ مِـنَ الشَّـرِّ أَعظَـمَ مِـمَّـا تَوَلَّـدَ مِـنَ الـخَـيرِ ! .

كالَّذِينَ خَرَجُـوا عَلَى يَزِيدَ بِالـمَـدِيـنَـةِ .

وكابنِ الأَشعَـثِ الَّذِي خَرَجَ عَلَى عَبدِ الـمَـلِـكِ بِالعِـرَاقِ .

وكابنِ الـمُـهَـلَّـبِ الَّذِي خَـرَجَ عَلَى ابنِهِ بِخُرَاسَانَ .

وكأَبِي مُسلِمٍ صَاحِبِ الدَّعوَةِ الَّذِي خَرَجَ عَلَيهِم بِخُرَاسَانَ - أَيضًا - .

---

(١) انظُر: «الاستِقَامَةَ» (١/ ٣٦) .

(٢) وهُوَ مَا يَدعُوا إِلَيهِ الـمَـودُودِيُّ، ومَن تَأَثَّـرَ بِفِكرِهِ .

وكالَّذينَ خَرَجُوا عَلَى المَنصُورِ بِالمَدِينَةِ، والبَصرَةِ، وأَمثَالِ هَؤُلَاءِ[1] .

وغَايَةُ هَؤُلَاءِ :

إِمَّا أَن يَغلِبُوا، وإِمَّا أَن يُغلَبُوا، ثُمَّ يَزُولُ مُلكُهُم؛ فَلَا يَكُونُ لَهُم عَاقِبَةٌ !! .

فَإِنَّ عَبدَ الله بنَ عَلِيٍّ، وأَبَا مُسلِمٍ هُمَا اللَّذَانِ قَتَلَا خَلقًا كَثِيرًا، وكِلَاهُمَا قَتَلَهُ أَبُو جَعفَرٍ المَنصُورُ ! .

وأَمَّا أَهلُ الحَرَّةِ، وابنُ الأَشعَثِ، وابنُ المُهَلَّبِ، وغَيرُهُم؛ فَهُزِمُوا، وهُزِمَ أَصحَابُهُم؛ فَلَا أَقَامُوا دِينًا، ولا أَبقَوا دُنيَا !! .

واللهُ تَعَالَى لا يَأمُرُ بِأَمرٍ لَا يَحصُلُ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ، ولا صَلَاحُ الدُّنيَا، وإِن كَانَ فَاعِلُ ذَلكَ مِن أَولِيَاءِ الله المُتَّقِينَ، ومِن أَهلِ الجَنَّةِ؛ فَلَيسُوا أَفضَلَ مِن عَلِيٍّ، وعَائشَةَ، وطَلحَةَ، والزُّبَيرِ، وغَيرِهِم، ومَعَ هَذَا لَم يَحمَدُوا مَا فَعَلُوهُ مِنَ القِتَالِ، وهُم أَعظَمُ قَدرًا عِندَ الله، وأَحسَنُ نِيَّةً مِن غَيرِهِم .

وكَذَلكَ أَهلُ الحَرَّةِ كَانَ فِيهِم مِن أَهلِ العِلمِ، والدِّينِ خَلقٌ .

وكَذَلكَ أَصحَابُ ابنِ الأَشعَثِ كَانَ فِيهِم خَلقٌ مِن أَهلِ العِلمِ، والدِّينِ، واللهُ يَغفِرُ لَهُم كُلِّهِم .

وقَد قِيلَ لِلشَّعبِيِّ فِي فِتنَةِ ابنِ الأَشعَثِ: أَينَ كُنتَ يَا عَامِرُ ؟ .

قَالَ: «كُنتُ حَيثُ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

---

(١) خَرَّجتُ كَثيرًا مِن هَذِهِ الآثَار بالأَسَانيدِ الصَّحيحَة في كتَابي «مِن فِقهِ الفِتَن النَّازلَةِ» .

عَوَى الذِّئبُ فَاستَأنَستُ بِالذِّئبِ إِذ عَوَى

وصَـــوَّتَ إِنسَـــانٌ فَكِـــدتُ أَطِـــيرُ

أَصَابَتنَا فِتنَةٌ، لَـم نَكُـن فِيهَا بَرَرَةً أَتقِيَـاءَ، ولا فَجَـرَةً أَقوِيَـاءَ» .

وكَانَ الحَسَنُ البَصرِيُّ يَقُولُ: «إِنَّ الحَجَّاجَ عَذَابُ الله؛ فَلَا تَدفَعُوا عَذَابَ الله بِأَيدِيكُم، ولَكِن عَلَيكُم بِالاستِكَانَةِ، والتَّضَـرُّعِ؛ فَـإِنَّ اللهَ تَعَـالَى يَقُـولُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون] .

وكَانَ طَلقُ بنُ حَبِيبٍ يَقُولُ: «اتَّقُوُا الفِتنَةَ بِالتَّقوَى» .

فَقِيلَ لَهُ: أَجـمِـل لَنَا التَّقوَى .

فَقَالَ: «أَن تَعمَلَ بِطَاعَةِ الله عَلَى نُورٍ مِنَ الله، تَرجُو رَحمَةَ الله، وأَن تَـترُكَ مَعصِيَةَ الله عَلَى نُورٍ مِنَ الله تَـخَـافُ عَـذَابَ الله»، رَوَاهُ أَحـمَـدُ، وابـنُ أَبِي الدُّنيَا[1] .

وكَانَ أَفَاضِلُ المُسلِمِينَ يَنهَونَ عَنِ الخُرُوجِ، والقِتَالِ فِي الفِتنَةِ، كَمَـا كَانَ عَبدُ الله بنُ عُمَرَ، وسَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ، وعَلِيُّ بنُ الحُسَينِ، وغَيرُهُم يَنهَـونَ عَـامَ الـحَـرَّةِ عَنِ الـخُـرُوجِ عَلَى يَزِيدَ .

وكَمَـا كَانَ الحَسَنُ البَصرِيُّ، ومُجَاهِدٌ، وغَيرُهُـمَـا يَنهَونَ عَنِ الخُرُوجِ فِي فِتنَةِ ابنِ الأَشعَثِ .

---

(١) خَرَّجتُ هَذِهِ الآثَارَ بالأَسَانِيدِ الصَّحِيحَة فِي كتَابِي «مِن فِقهِ الفِتَن النَّازِلَةِ» .

ولِـهَـذَا استقَرَّ أَمـرُ أَهلِ السُّنَّةِ عَـلَى تَـركِ القِتَـالِ فِي الفِتنَـةِ لِلأَحَادِيـثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ، وصَـارُوا يَـذكُرُونَ هَـذَا فِي عَقَائـدِهِم[1]، ويَأمُرُونَ بِالصَّبرِ عَلَى جَورِ الأَئمَّـةِ، وتَركِ قِتَالِـهِم، وإِن كَانَ قَد قَاتَلَ فِي الفِتنَةِ خَلقٌ كَثِيرٌ مِن أَهلِ العِلمِ، والدِّينِ .

❑ ❑ ❑

إلى أَن قَالَ :

«فَتَبَيَّنَ أَنَّ الأَمـرَ عَـلَى مَـا قَالَـهُ أُولَئِـكَ، ولَـم يَكُـن فِي الـخُـرُوجِ لا مَصلَحَةُ دِينٍ، ولا مَصلَحَةُ دُنيَا، بَل تَـمَـكَّـنَ أُولَئكَ الظَّلَمَةُ الطُّغَاةُ مِن سِـبطِ رَسُولِ الله ﷺ؛ حَتَّى قَتَلُوهُ مَظلُومًا شَهِيدًا .

وكَانَ فِي خُرُوجِـهِ، وقَتلِهِ مِنَ الفَسَـادِ مَا لَـم يَكُـن حَصَـلَ لَـو قَعَـدَ فِي بَـلَـدِهِ ! .

فَإِنَّ مَا قَصَدَهُ مِن تَحصِيلِ الخَيرِ، ودَفعِ الشَّـرِّ لَـم يَحصُل مِنهُ شَيءٌ !!، بَل زَادَ الشَّـرُّ بِخُرُوجِـهِ، وقَتلِهِ !، ونَقَصَ الخَيرُ بِذَلِكَ، وصَارَ ذَلِـكَ سَـبَبًا لِشَـرٍّ عَظِيـمٍ .

وكَانَ قَتلُ الحُسَينِ مِـمَّـا أَوجَبَ الفِتَنَ، كَمَـا كَانَ قَتـلُ عُثمَـانَ مِـمَّـا أَوجَـبَ الفِتَـنَ .

وهَـذَا كُـلُّـهُ مِـمَّـا يُبَـيِّنُ أَنَّ :

---

(١) وهُوَ إِجمَاعُهُم، ومَن زَلَّت قَدَمُهُ لَـم يَحمَد أَهل العِلـمِ فِعلَـهُ، والأَخطَـاءُ لا تَكُونُ قَولًا، ومَن عَاشَ مِنهُم نَدِمَ، ورَجَعَ، وتَفصيلُ ذَلكَ بِنُقُولِهِ فِي كتَـابِي «مِـن فِقـهِ الفِتَنِ النَّازِلَةِ» .

مَـا أَمَـرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الصَّـبرِ عَلَى جَـورِ الأَئمَّـةِ، وتَـركِ قِتَالِـهِم، والـخُـرُوجِ عَلَيهِم؛ هُوَ أَصلَحُ الأُمُـورِ للعِبَادِ فِي المَعَـاشِ، والـمَـعَـادِ، وأَنَّ مَن خَالَـفَ ذَلـكَ مُتَعَمِّـدًا، أَو مُـخـطِـئًـا لَـم يَـحـصُـل بِفِعلـهِ صَـلَاحٌ؛ بَل فَسَـادٌ !!» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ الإمَامُ الرَّبَّانِيُّ ابنُ القَيِّم (ت٧٥١) - رَحِـمَـهُ اللهُ تَعَالى- :

«.. الإنـكَـار علَى الـمُـلُـوكِ، والـوُلَاةِ بالـخُـرُوج عَلَـيهم :

فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُـلِّ شَـرٍّ، وفِتنَةٍ إِلَى آخِـر الدَّهـرِ، وقَـد اسـتَأذَنَ الصَّـحَابَةُ رَسُولَ الله ﷺ فِي قتَالِ الأُمَرَاءِ الَّذين يُؤَخِّـرُونَ الصَّلاةَ عَن وَقتهَا، وقَالُوا أَفَلا نُقَاتلُهُم ؟ .

فقَالَ: «لا مَـا أَقَـامُـوا الصَّـلَاةَ» .

وقَالَ: «مَن رَأَى مِن أَمـيرِهِ مَـا يَكرَهُـهُ؛ فَليَصـبر، ولا يَنـزعَنَّ يَـدًا مِـن طَاعَتِهِ» .

ومَن تَأَمَّل مَا جَـرى علَى الإسلَام فِي الفِتَن الكِبَار، والصِّـغَار رَآهَـا مِـن إِضَاعَةِ هَذَا الأَصل، وعَدَمِ الصَّبر علَى مُنكَرٍ؛ فطُلِبَ إِزَالَتُهُ؛ فتَوَلَّدَ مِنهُ مَا هُـوَ أَكبَرُ مِنهُ؛ فقَدَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يرَى بمَكَّةَ أَكـبَرَ المُنكَـرَاتِ، ولا يَسـتَطِيعُ

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة» (٤/ ٥٢٧-٥٣١) .

وقَد أَفرَدتُ هَذه النُّقُولَ، وأَمثَالَـهَـا، مَـعَ شَرحِ فِتنَـة ابـنِ الأَشـعَثِ، وغَيرهَـا بالأَسَانيدِ الصَّحيحَةِ، وأَقوَال الأَئمَّة الرَّشيدَةِ الرَّجِيحَةِ، والأَدلَّة النَّقليَّة الصَّـريـحَـة، والعَقليَّـة الصَّحيحَـة في كتَـابي «مِـن فِقـهِ الفِـتَن النَّازلَـةِ» المَطبُـوعِ سَـنَةَ (١٤٣٢-٢٠١١م)؛ فأَغنَانني عَن التَّعليقِ بهَا هُنَا .

تَغييرَهَا، بَل لَـمَّـا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ، وصَارَت دَارَ إسلَامٍ عَزَمَ علَى تَغيـيرِ البَيـتِ، ورَدِّهِ عَلَى قَوَاعدِ إبرَاهِيمَ، ومَنَعَهُ مِن ذَلكَ مَعَ قُدرَتِهِ عَلَيهِ خَشيَةُ وُقُوعِ مَا هُـوَ أَعظَمُ مِنهُ مِن عَدَم احتِمَـالِ قُرَيشٍ لذَلكَ لقُربِ عَهدِهِم بالإسلَامِ، وكَونِـهم حَدِيثِي عَهدٍ بكُفـرٍ؛ ولِـهَـذَا لَـم يَأذَن فِي الإنكَار عـلَى الأُمَـرَاءِ باليَـد؛ لِـمَـا يَترَتَّبُ عَلَيهِ مِن وُقُوعِ مَا هُـوَ أَعظَمُ مِنهُ كمَـا وُجِـدَ سَـوَاءً !!» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

قُلتُ: فِي هَذِهِ النُّقُولِ النَّافعَةِ بَيَانُ مَنهَجِ السَّلَفِ الصَّالحِ الَّذي دَعَا إلَيـهِ ابنُ تَيميَّةَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا، ودَوَّنَهُ فِي كُتُبِهِ، وانتَصَـرَ لَهُ .

وهُوَ نَقيضُ مَا يُرِيدُهُ المَودُوديُّ!، ومَن حَـمَـلَ فِكرَهُ الثَّوريَّ الـهَـائـجَ .

ولا أَظُـنُّ (طَالبَ عِلمٍ عَاقلٍ) فَضلًا عَن عَالِـمٍ يَقرَأُ الكَلَامَ السَّـابقَ إلَّا ورَأَى مَا كَانَ عَلَيهِ ابنُ تَيميَّةَ مِن "التَّوفِيقِ العَظِيمِ" فِي هَذِهِ القَضَايَـا العَظيمَـةِ الـمَـصِـيريَّةِ فِي الأُمَّـةِ، مَعَ عَظيمِ مَا ابتُلِيَ بهِ مِن ظُلْـمِ الدَّولَـةِ لَـهُ !، وحَبسِـهِ حَتَّى مَاتَ ! مَسجُونًا .

لا كمَـا يَقُولُ المَودُوديُّ، ومَن تَأَثَّرَ بفِكرِهِ مِن أَنَّ ابنَ تَيميَّةَ :

«لَـم يُوَفَّق لبَعثِ حَرَكَة سيَاسيَّةٍ فِي المُسـلمينَ يَحـدثُ بهَـا الانقِـلابُ فِي نظَامِ الحُكمِ، وتَنتَقلُ مَقَاليدُ الحُكم، والسُّلطَةِ مِـن أَيـدي الجَاهليَّـة إلى أَيـدي الإسلامِ» !! .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «أَعلَامَ المُوَقِّعِينَ عَن رَبِّ العَـالمين» (٣/ ٤/ طبعَـة مَكتبَـة الكُلِّيَّـات الأَزهَريَّة/ ١٣٨٨/ تحقيق طه عبد الرؤوف) .

وقَد نَقَضَ ابنُ تَيميَّةَ هَذَا "الفِكرَ الضَّالَّ"، وبَيَّنَ بالأَدلَّةِ أَنَّهُ إفسَادٌ لا خَيرَ فِيهِ، وأنَّ نتائجَهُ مُدَمِّرَةٌ !، وأنَّ الخَائضَ فيهِ خَاسرٌ - ولا بُدَّ!- مَعَ عَدَم تَحقيقِهِ مَا يُريدُهُ ! .

بَل مَعَ زيَادَةٍ في الشَّرِّ، ومَا يُحدِثُهُ مِن فَسَادٍ عَريضٍ .

والسِّرُّ في ذَلكَ أنَّ هَذَا الفِكرَ الضَّالَّ يُخَالفُ أَمرَ الله تَعَالى، وأَمرَ رَسُولهِ ﷺ في لُزُوم الصَّبرِ؛ فكَانَ خِلافُ مُقتَضَى النُّصُوصِ الشَّرعيَّةِ جَالبًا لفَسَادٍ عَظيمٍ، ولا زَالَت الأُمَّةُ تُعَاني مِن هَذَا "الانحِرَافِ الفِكريِّ" العَظَائمَ .

❑ ❑ ❑

ولله دَرُّ العَلَّامَة المُحَقِّقِ عَبد الرَّحمَن المُعَلِّميِّ (ت١٣٨٦) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-؛ إذ قَالَ في تَحقيقِ القَولِ فِيمَا جَرَى بَينَ أَبي حَنيفَةَ، والإِمَامِ أَبي إِسحَاقَ إبرَاهيمَ بنِ مُحَمَّدٍ الفَزَاريِّ الثِقَةِ المُجَاهِدِ في الثُّغُورِ مِن فِتنَةِ (إِبرَاهيمَ ابنِ عَبدِ الله بنِ الحَسَنِ) الخَارجِ عَلَى دَولَة بَني العَبَّاسِ، وكَانَ أبو حَنيفَةَ يَستَحبُّ، أَو يُوجِبُ الخُرُوجَ علَى خُلَفَاءِ بَني العَبَّاس!!؛ لمَا ظَهَرَ مِنهُم مِن الظُّلمِ، ويَرَى قتَالَهم خَيراً مِن قِتَالِ الكُفَّار !، وأبو إسحَاقَ يُنكِرُ ذَلكَ[1] - :

«وقَد جَرَّبَ المُسلِمُونَ الخُرُوجَ فَلَم يَرَوا مِنهُ إلَّا الشَّرَّ ! .

خَرَجَ النَّاسُ علَى عُثمَانَ يَرَونَ أَنَّهُم إنَّمَا يُريدُونَ الحَقَّ، ثُمَّ خَرَجَ أَهلُ الجَمَل يَرَى رُؤَسَاؤُهم، ومُعظَمُهُم أَنَّهم إنَّمَا يَطلُبُونَ الحَقَّ :

فكَانَت ثَمَرَةُ ذَلكَ بَعدَ "اللَّتيَّا والَّتِي" أَن :

انقَطَعَت خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ، وتَأَسَّسَت دَولَةُ بَني أُمَيَّةَ .

---

(١) وهَذِهِ مِن زَلَّات أَبي حَنيفَةَ الَّتي رَجَعَ عَنهَا .

ثُمَّ اضطَرَّ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ إلَى مَا اضطُرَّ إلَيهِ؛ فكَانَت تِلكَ المَأسَاةُ ! .

ثُمَّ خَرَجَ أَهلُ المَدينَةِ فَكَانَت وَقعَةُ الحَرَّةِ، ثُمَّ خَرَجَ القُرَّاءُ مَعَ ابنِ الأَشعَثِ فمَاذَا كَانَ ؟ .

ثُمَّ كَانَت قَضيَّةُ زَيدِ بنِ عَلِيٍّ، وعَرَضَ عَلَيهِ الرَّوَافضُ أَن يَنصُرُوهُ عَلَى أَن يَتبَرَّأَ مِن أَبي بَكر، وعُمَرَ؛ فأَبَى فخَذَلُوهُ؛ فكَانَ مَا كَانَ، ثُمَّ خرَجُوا مَعَ بَني العَبَّاسِ

فنَشَأَت دَولَتُهم الَّتي رَأَى أبو حَنيفَةَ الخُرُوجَ عَلَيهَا !، واحتَشَدَ الرَّوَافضُ مَعَ إبرَاهيمَ الَّذي رَأَى أبو حَنيفَةَ الخُرُوجَ مَعَهُ ! .

ولَو كُتِبَ لَهُ النَّصرُ لاستَولَى الرَّوَافضُ علَى دَولَتِهِ !؛ فيَعُودُ أبو حَنيفَةَ يُفتي بوُجُوب الخُرُوجِ عَلَيهِم !!» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَد عِشنَا ورَأينَا هَذِهِ الفِتَنَ الَّتي لَقَّبَهَا أَعدَاءُ الإِسلامِ بـ(الرَّبيعِ العَربيِّ)؛ فَمَا يَكَادُ - اليَومَ - أَحَدٌ يَحمَدُهَا ! .

نَعُوذُ باللهِ مِن الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنهَا، ومَا بَطَنَ، ونَسأَلُ اللهَ تَعَالى أَن يُحيِيَنَا علَى السُّنَّةِ، ويُمِيتَنَا عَلَيهَا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «التَّنكِيلَ بمَا في تَأنيب الكَوثَريِّ من الأَبَاطِيل» (١/ ٢٨٨-٢٨٩) .